دار الحديث السكرية

يهتم أنصار الامام تقي الدين احمد بن تيمية بالبحث عن المدرسة التي كان يقطنها ويدرس فيها بعد أبيه . واذا رجعنا الى كتب التاريخ والتراجم والطبقات لانجد ذكر هذه المدرسة يتردد إلا نادراً في حين أننا نجد لغيرهـا من دور الحديث والمدارس عشرات المرات من الذكر . وهذا يدلنا على خمول اسم هذه المدرسة وعدم وجود شأن لها وان سبب انتشار ذكرها – قليلاً – هو سكنى الامام تقي الدين احمد وأبيه عبد الحليم بن تيمية فيها ومع ذلك فالذين ورخوا مدارس دمشق كانت معلوماتهم ضئيلة عنها .

فالنعيمي في تنبيه الطالب والعلموي والبقاعي في مختصريهما للتنبيه يقولون انه كان بها خانقاه ، ويتفق النعيمي والعلموي على أن الذين درسوا فيها هم عبد الحليم بن تيمية ثم ابنه احمد شيخ الاسلام ، ثم الحافظ الذهبي ثم صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي ويتفقون جميعاً على أنهم لم يطلعوا على ترجمة واقفهـا . ومعنى هذا أن تاريخ انشائها مجهول لديهم .

موقعها

يذهب بعض الباحثين في عصرنا الى أنها واقعة في سوق السكرية وانها هي المسجد المسمى اليوم بمسجد السادات الكائن في سوق مدحت باشا لأن قبليه يتصل بسوق السكرية أما سوق السكرية فهو السوق الذي فيه باب جامع السنانية الشمالي .وهذا الرأي لا يستند الى نص تاريخي وغاية مافيه التشابه في التسمية في حين ان دار الحديث السكرية منسوبة لشرف الدين بن سكر أحد الأمراء ، وسوق السكرية عرف بذلك لاختصاص باعة السكر به منذ خمسين عاماً والفرق بين النسبتين ظاهر

موقعها الحقيقي

ان المدرسة الخيضرية (المشهورة في عصرنا بالخضيرية) تعين لنا موقع دار الحديث السكرية وموقع القصاعين تماماً . فالنعيمي والعلموي والبقاعي متفقون على ان دار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحديث السكرية بالقصاعين وان المدرسة الخيضرية هي شمالي دار الحديث بالقصاعين أيضاً واذ لم يكن لنا بالقصاعين دار حديث غير السكرية تعين ان تكون هي المرادة وتعين ان تكون واقعة قبلي الخيضرية . واذا رجعنا الى تاريخ ابن عساكر نراه يشير الى انه كان في مكانها مسجد فهو حينما يعدد المساجد التي قبلي دمشق يقول : مسجد في درب القصاعين سفل عن يسار الداخل . ولو ذهب الانسان اليوم الى القصاعين (حارة الخضيرية) لوجد على يسار الداخل اليها مسجداً هو (الخيضيرية) واذا كانت (الخيضيرية) بنيت عام (٨٧٨) شمالي السكرية اتضح لنا ان السكرية هي مكان المسجد الذي أشار اليه ابن عساكر . ولدينا وثيقة أخرى تثبت ان السكرية قامت مكان مسجد قديم . فعند أحد أصدقائنا نسخة من مختصر تنبيه الطالب للعلموي بخط الشيخ رمضان العطيفي المترجم في تاريخ المحبي كتب على هامشها ما يلي : ان السكرية جددت في أيام الظاهر بيبرس وقد وقفها زكي الدين احمد بن طلائع على الامير شرف الدين بن سكر ثم من بعده مسجداً ودار حديث ووقف عليها اوقافاً وافية على شيخ امام بها من أي المذاهب ، ومؤذن وستة نفر يستمعون الحديث على الشيخ وذلك في شهر جمادى الاولى سنة (٦٧٤) ومن الغريب ان يكتب هذا النص على هامش مختصر تنبيه الطالب ولا يطلع عليه النعيمي ولا من اختصر كتابه . ولم يشر الى هذا النص ابن كثير في تاريخه مع كثرة تتبعه لأمثال هذا البحث . والراجح ان هذا النص صحيح وان لم نعرف مصدره الأول . ومهما يكن فانه يرشدنا الى الزمن الذي تحول فيه المسجد الذي ذكره ابن عساكر الى دار حديث مادام هذا النص يقول عنها : انها جددت

ولدينا وثيقة ثالثة وهي رسالة خطية ضمن مجموع رقم (١٢٨) من مجاميع دار الكتب الظاهرية بدمشق واسمها (السكرية في السكرية) لمؤلف مجهول وخلاصة الرسالة هي : انه في سنة (٧٨٥) اي بعد تجديد بنائها أيام الملك الظاهر بـ [١١١] سنة كان المدرس فيها والناظر عليها الحافظ عبد الرحمن بن رجب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحنبلي [١] فجاء شمس الدين محمد بن عبد الكريم التدمري من أكابر تجار دمشق وأعيانهم ومن محبي الشيخ تقي الدين بن تيمية الفقيه الحنبلي وكانت داره مجاورة لدار الحديث السكرية التي تداعى بعض بنائها والبعض الآخر كان بحالة رثة يستدعي الهدم والتجديد - وطلب من قاضي القضاة الحنبلي شمس الدين المشهور بابن التقي المقدسي [٢] الكشف عن هذه المدرسة والاذن له بهدمها وتوسيعها وعمارتها من جديد فجاء اليها القاضي المذكور ومعه المعمارية المهندسون : المعلم محمد بن العطار معمار الجامع الاموي ، وابن الفارقي ، وابن الزلباني وشاهدوا اشراف بعض الاماكن على الانهدام، واحتياجه الى الفك فأمر القاضي بكتابة محضر بصورة الحال

والظاهر ان ابن التدمري بعد ان جدد بناء هذه المدرسة ووسعها اراد ان يصير ناظراً عليها، فمنعه من ذلك الناظر الأصلي وهو ابن رجب الحنبلي ولم يستطع ابن التدمري أخذ حكم من القضاة بنصب نفسه ناظراً عليها فالتجأ الى مؤلف هذه الرسالة — المجهول اسمه لدينا — فألفها له ليثبت ان الحق مع ابن التدمري . ويصف في هذه الرسالة عمارة المدرسة وهيأتها القديمة والحديثة بما لا يخرج عن محضر القاضي ، ويناقش مناقشات فقهية دقيقة . ويأتي بنصوص كثيرة مختلفة تتعلق بأحكام الوقف وأحكام هدم المساجد وعمارتها مما يدل على طول باع مؤلفها

ونحن نثبت هنا المحضر الذي شهد به المهندسون وصدق عليه القاضي لما له من القيمة القضائية والتاريخية . فهو وثيقة تاريخية عن محاضر القضاة وأصولها في ذلك العصر يتضمن أشياء غير قليلة عن هيئة المدرسة قبل عمارتها . ويصفها وصفاً دقيقاً بعد العمارة كأن الانسان يشاهدها . ويتضمن أيضاً أشياء تاريخية مما يتعلق بدمشق وبعض اصطلاحات معمارية واسمائها في ذلك العصر وهذه صورة المحضر :

(١) لم يذكر التميمي ولا متابعوه عن ابن رجب شيئاً في المدرسة السكرية وهذا مما فاتهم . وابن رجب من أشهر أعلام القرن الثامن ومؤلفيهم ومن أشهر مصنفاته طبقات الحنابلة التي ذيل بها على طبقات ابن ابي يعلى . ويذكر ابن العماد انه كان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين توفي سنة (٧٩٥)

(٢) هو القاضي شمس الدين محمد بن تقي الدين عبدالله بن محمد بن محمود بن احمد بن دقان المرداوي الحنبلي ناب في القضاء ثم استقل به وتوفي في رمضان سنة (٧٨٩)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقف بالاذن العالي القضائي السامي من يضع شهادته أو يوضع عنه من المعمارية والمهندسين أهل الخبرة بالعمائر على جميع المدرسة بمحلة القصاعين بدمشق المعروفة قديماً بدار الحديث السكرية المشهورة بشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية التي حدها كذا[1] فوجدوا هذه المدرسة ضيقة حرجة على المصلين والمنتفعين بها من أهلها وغيرهم ووجدوا بابها مربعاً واطياً ينزل اليها منه في أربع درجات . وعتبته العليا نازلة واطية جداً لا يدخل الداخل منه الا مطأطئاً رأسه بحيث يحصل للداخل مشقة . ووجدوا ايوان هذه المدرسة القبلي صغيراً يضيق بالمصلين والمحراب لطيف جداً لا يسع الامام واذا تأخر الامام عنه ساوى المأمومين في الصف[2] . ووجدوا جدران هذه المدرسة من القبلة والشرق وسقوفها مشعثة محتاجة الى تجديد عمارة وفك واعادة ووجدوا أرض هذه المدرسة نازلة عن الطريق بمقدار ذراع ونصف بغير حاجة ولا ضرورة الى نزولها لأن ماءها عال عليها ، وفي هبوطها ونزولها ضرر عليها وعلى أهلها والمصلين بها وخصوصاً على جدرانها لنداوة الأرض ، ووجدوا هذه المدرسة لا طهارة لها يومئذ ينتفع بها أهلها ولا المصلون بها ، ووجدوا على ظهر هذه المدرسة حجرتين عتيقتين حراسس[3] مغمتين على المدرسة مضرتين بها محتاجتين الى فك وتجديد عمارة . والى جانب هذه المدرسة من الشرق قاعة مختصة بملك الفقير الى الله شمس الدين محمد بن التدمري وعلى هذه القاعة حجرة فاذا فك جميع عمار هذه المدرسة سفلاً وعلواً وأضيفت القاعة المختصة بابن التدمري الى هذه المدرسة توسعة لها وعمل ايوان هذه المدرسة شرقاً وغرباً سبعة اذرع ، وعرضاً : قبلة وشاما اربعة أذرع ونصف ، وعمل الحائط القبلي الى نهايته بحجارة صفر وبيت سيمي مثل وجه الحائط القبلي وفي كل واحد من جانبي هذا الايوان الشرقي والغربي بيت وجهه نسبة الحائط القبلي نضيف (نظيف) وفتح في كل بيت منها ضوايات الى الطريق . وعمل ظهر الحائط القبلي بحجارة بيض وعمل علو المحراب في الحائط القبلي قمريات

(١) هكذا في الأصل لم يذكر حدودها (٢) يؤخذ من هذه العبارة ان الايوان المذكور لا يتسع الا لصف واحد من المصلين (٣) مهملة في الأصل فيحتمل قراءتها خرابتين ويحتمل حرانيتين نسبة لحران اما لكونها على طراز بناء حران أو نسبة الى الحرانيين الذين نزلوها : ابن تيمية وأبيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ينجر منها الضوء إلى الايوان المذكور . وعمل تجاه هذا الايوان القبلي ايوان شامي يحاكيه في ارتفاعه وطوله شرقاً بغرب ، ويكون عرضه قبلة بشام ذراعين . وعمل في كل واحد من جانبيها الشرقي والغربي صفَةُ صُفَةٍ وعمل لكل واحد من الايوانين القبلي والشامي والصفتين الشرقية والغربية جبهات حجارة سود وحمر مجلية . ولكل واحد من الايوانين والصفتين قنطرة حجارة حمر وصفر وسود وأبيض بيت سيمي . وفك الرخام الذي بوسط هذه المدرسة وعمل مكانه بلاط احمر مجلي . وعملت البركة بحجارة حمر مجلية ودبشت أرض هذه المدرسة وارتفعت حتى تقارب أرض الطريق وتساوي الطريق اذا بلطت وتتساوى ارض المدرسة والطريق ويزول الاحتياج الى الدرج . ونقل باب المدرسة من مكانه الذي هو الآن في جهة الشام مكان باب المطلع الى ظهرها الموجود يومئذ وعمل مربعاً عالياً متسعاً يدخل منه الى المدرسة بغير كلفة ولا حرج وعمل شباك غربي يطل الى الطريق من الصُفَّة الغربية ارتفاعه ثلاثة أذرع وعرضه ذراع ونصف كل هذه الأذرع بالذراع القاسمي . وعمل لهذه المدرسة طهارة شرقية يتطرق اليها من باب فيما بين الايوان الشامي والصفة الشرقية مقابل باب المجاز يدخل منه في دهليز من وراء الصفة الشرقية يكون في هذه الطهارة بيتان ويجري الماء اليها من ماء القاعة المذكورة المختصة بملك شمس الدين ابن التدمري ، ومن فائض بركة المدرسة وعمل على ظهر هذه المدرسة بعد اضافة القاعة المذكورة اليها حجرتان احداهما كبرى شامية بمطبخ ومرتفق كاملة المنافع ، والأخرى قبلية بمنافع ومرافق ويبقى بقية ظهر المدرسة كشفاً من الجهات الأربع لانتفاع أهل المدرسة وتكثير الضوء من العراقية ، ووجدوا أيضاً لهذه المدرسة جناحين بارزين قبلةً وغرباً ببرمقتيات ومرسل بروز الجناح القبلي في شرقه ذراع واحد وفي غربه ذراع ونصف . وبروز الجناح الغربي البرمقتيات ذراع ونصف والمرسل ذراع ويشهدون مع ذلك ان الفقير الى الله شمس الدين بن التدمري اذا تبرع بالقاعة المذكورة المختصة بملكه وأضافها الى هذه المدرسة وعمل هذا العمل المذكور على الوجه المذكور والصفة المشروحة من ماله متبرعاً به ابتغاء وجه الله ومرضاته ورجاء لثوابه كان في ذلك حظ ومصلحة له وللمدرسة ولأهلها والمصلين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بها والمنتفعين بها وكان لشمس الدين ابن التدمري الأجر الجزيل هذه صورة ما وجدوا وذلك في شهر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة . وخط المعمارية :

وقفت على ذلك والأمر كما شرح له
كتبه محمد بن محمد العطار معمار الجامع الاموي
خط القاضي : شهد عندي بذلك

وقف على ذلك وشهد بمضمونه
المعلم احمد بن محمد بن عبد الرحمن
الزلباني وكتب عنه باذنه
خط القاضي : شهد عندي بذلك

وقفت على ذلك وشهدت بمضمونه
كتبه احمد بن عثمان الرقي معمار الجامع
خط القاضي : شهد عندي بذلك

صورة خط القاضي في الهامش توقيعاً للمسجل

أشهد بثبوت ما قامت به البينة فيه والاذن للخواجا شمس الدين المسمى فيه في عمل ذلك بعد التزامه بتكميل ذلك وعمله على الوجه المشروح فيه مع العلم بالخلاف . كاتب المحضر المذكور هو الشيخ تقي الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن الحنبلي امام المدرسة السلامية بدمشق وهو المسجل على القاضي ومقتضاه : اشهدني قاضي القضاة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ الامام تقي الدين عبد الله المقدسي الحنبلي الحاكم بدمشق انه ثبت عنده مضمون المحضر المذكور بشهادة المعمارية الذين اعلم على اسمائهم ثبوتاً شرعياً وانه اذن للخواجا شمس الدين محمد بن التدمري في عمل ذلك بعد التزامه بتكميل ذلك وعمله على الوجه المشروح مع علمه بالخلاف بين العلماء فيما فيه الخلاف من ذلك في صفر سنة خمس وثمانين وسبع مائة

هذا نص ما وجدناه في الكتاب الخطي المسمى بالسكرية في السكرية اثبتناه لما فيه من طرافة تاريخية فهو يمثل لنا دار الحديث السكرية خير تمثيل قبل تجديد بنائها وبعده ، ويحفظ لنا ألفاظاً عديدة كانت مستعملة في ذلك العصر كالقمرية والضوّاية والعراقية وبيت سيمى للقرية الشهيرة ببسيما ودبش الأرض والبرمقيات ، ويصور لنا السكرية مدرسة ضيقة صغيرة قبل تجديدها وبعده ومن مجموع صفاتها نستطيع ان نقول انها تشبه من جهات عديدة دار القران الخيضرية خصوصاً مساحتها وايوانيها القبلي والشمالي ومدخلها . وبعد فلم يبق للسكرية أثر في عصرنا وأصبحت داراً من الدور وموقعها قبلي جامع الخضيرية قرب باب الجابية كما تقدم

محمد احمد دهمان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net